الفصل الرابع

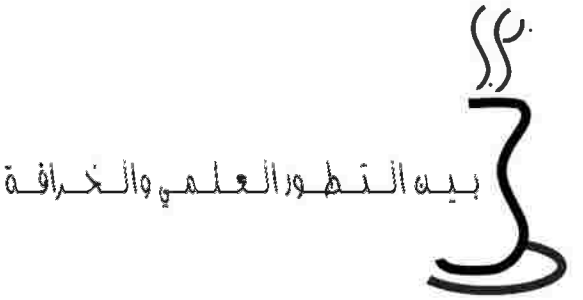

(1)

لازال للخرافة جمهورها

ظلت الخرافة منذ نشأة الإنسان على الأرض تغزو عقله، وترعبه، وتسيطر عليه في كافة مجالات حياته، بين التطير والخوف من المجهول، وعدم القدرة على تفسير الظواهر الطبيعية إلا بما يتلاءم مع تفكيره المقيد المحصور في بيئة معادية مليئة بالأهوال.. .

كان يرجع المرض والإصابة به إلى الشياطين والأرواح الشريرة، التي تدخل أجسام المرضى، فتسبب لهم الآلام المبرحة وقد تميتهم..

ومع تطور الزمن بدأ الإنسان يعي ظروفه، ويتعرف على مسببات المرض من بكتيريا وطفيليات وفيروسات دقيقة.. وينبذ الخرافة، إلى حد أنها انعدمت في المجتمعات المتحضرة تقريبًا، ورغم ذلك تجد كثيرًا من الناس في الدول المتخلفة ما زالوا على قناعاتهم من أن أسباب الأمراض، وخصوصًا الأمراض النفسية، تعود إلى الأرواح الشريرة التي تتلبس جسم المريض وتسبب له المتاعب والآلام.. ويلجأ بعض الدجالين إلى استخدام طرق كثيرة من التلاعب بعقول البسطاء وإقناعهم بأن أمراضهم لا تشفى إلا بتقديم القرابين والأموال له كواسطة، حيث يقدمها بدوره، إلى ملك الجان ليأمر بمغادرة جسم المريض، وإعادته إلى حالته الطبيعية.. وأكثر الأحيان يقنع الدجال

أولئك البسطاء من أنه يسيطر تمامًا على جني قوي يطيعه ويتلقى أوامره خائفًا من غضبه، ودعواته وهو الأقوى، المتمكن بقدرته وجبروته.

ولا تزال تنتشر في البادية وبعض المناطق النائية أماكن يتواجد فيها مثل هؤلاء الدجالين الذين يقلون شيئًا فشيئًا.. وقد امتد العلم إلى الناس بوعيهم على حقيقة المرض ومسبباته وإمكانية علاجه عن طريق الطب بفروعه المتعددة مهما كان المرض مستعصيًا.. حيث وجد بعضهم عن طريق التجربة أن علاج المرض بالأدوية التي يصفها الطبيب.. هو السبيل الصحيح للشفاء وليس اللجوء للأحاجي...

أشكال غريبة من الخرافات تنتشر في العالم تنقلها الصحافة العلمية كل فترة، وتفسر غرابتها وتنبذ أصولها الأسطورية بالمنطق العلمي المقنع..

(2)

أشكال عملاقة من السلمون

حيوانات ضخمة أشبه بالوحوش المنقرضة أخذت تظهر إلى الشمال الغربي من الصين في البحيرات الممتدة في المنطقة، وتكرر ظهورها لسنوات طويلة حتى اعتاد عليها الناس هناك، وصاغوا حولها القصص والخرافات...

لجنة علمية اتجهت إلى تلك البحيرات في العام 1987 لتدرس تلك الوحوش البحرية الغريبة وبعد رصد متواصل اكتشفت اللجنة أن تلك الوحوش ليست سوى أسماك ضخمة من نوع السلمون (طويلة، ممتدة كالأفعى برأس ضخم) وقدروا وزن السمكة بنحو ألف كيلوجرام.. وقد حاول الصيادون بعد أن بذلوا جهودًا خارقة، صيد واحدة منها دون جدوى، إذ إن تلك الأسماك الضخمة استعصت على الخطافات والشباك القوية.. ومعلوم أن أسماك السلمون صغيرة الحجم وربما لا يزيد وزن أضخمها عن ثلاثة كيلو جرامات في المناطق العذبة المياه.. وربما عاد سبب ضخامتها في منطقة البحيرات في شمال غرب الصين، إلى نوع غذائها الغني بالبروتين والمواد التي تؤثر على هرمون النمو والغدة النخامية

* خرافة روح [الثعلبة]

وفي الصين أيضًا وبالتحديد بالقرب من مدينة كانتون، اعتقد أهالي إحدى قرى (جوانغدونغ) أن روحًا شريرة تمارس تأثيراتها الضارة عليهم بعد عدة حوادث تسببت في موت عدد من أهالي القرية.. وأعلنوا فيما بينهم أن تلك الروح الشريرة ستستمر في تأثيراتها حتى تؤدي إلى حدوث عجز جنسي لدى الشبان وعقم لدى الشابات.. وتداعى الأهالي إلى اجتماع لكبار السن.. فقاد هؤلاء تجمعًا للأطفال وهم يحملون التعاويذ ويقرعون الطبول ويدقون على أواني النحاس لإبعاد الروح الشريرة .ثم انهال سكان القرية على الفتاة (زهانغ ديليان)

بالضرب وقد اعتقدوا بأنهم عثروا على الفتاة التي أصابها مس من الشيطان .

والمعروف في الصين بأن روح (الثعلبة) الشريرة تتجسد في فتاة جميلة مغرية.. وقد ذكرت إحدى الصحف الصادرة في كانتون أن الفتاة (زهانغ) ماتت متأثرة بجراحها بعد مرور عشرة أيام، وقد تدخلت الشرطة وأوقفت ضرب الفتاة واعتقلت عددًا من الأهالي، وكانت (زهانغ ديليان) أجمل وأذكى فتاة في المنطقة تمارس عملها في إحدى التعاونيات الزراعية .

لا تزال بعض المناطق في الصين، العملاقة المتقدمة علميًا، تعيش عادات وتقاليد قديمة وتمارس طقوسًا ومعتقدات خاصة، ترتبط بالخرافات والمعتقدات البالية .

(3)

منغلقون على أنفسهم ضد التكنولوجيا

وفي أمريكا نفسها، أمريكا التكنولوجيا والإلكترونيات والأقمار الصناعية وغزو الفضاء، تعيش جماعة من الناس ربما يصل عددهم إلى نصف مليون نسمة ويتوزعون في (20) ولاية أمريكية وفي كندا وغواتيمالا، هذه الحياة التي يسمونها (الأميش) تحتقر التكنولوجيا والسيارات والكهرباء والتصوير وتتمسك بتقاليد حافظت عليها منذ أن

جاء أجدادها عام (1693م) إلى العالم الجديد، يعيش أفراد هذه الجماعة في بيوت ريفية نظيفة وسط مزارع واسعة . ولا تستخدمون الكهرباء في الإنارة، وإنما الشموع ويتدفئون على الحطب ولا يعرفون الراديو أو التلفزيون، ولا يركبون السيارات بل ينتقلون بواسطة العربات التي تجرها الخيول على طرقات أوهايو وبنسلفانيا المزدحمة بالسيارات..

رجالهم يلبسون سراويل سوداء يخيطونها داخل بيوتهم إضافة إلى قبعات سوداء من القماش.. التصوير ممنوع عندهم ويغطون وجوههم حين يحاول السياح التقاط صورهم، ويحصلون على حاجاتهم بمبادلة السلع الزراعية كالدخان والنسيج اليدوي الذي تصنعه نساؤهم إذ إن المرأة عندهم تعمل وتنتج ولكن داخل المنزل، وتهددهم الأمراض بالانقراض، إذ ينتشر الجدري والتيفوئيد بين الأطفال.. وقد تمكن أحد المخرجين السينمائيين من النفوذ إلى مجتمعهم المنغلق، فصور فيلمًا عن حياتهم، وحين عرض الفيلم ثارت نقمتهم على مخرجه واعتبروا ذلك عملًا غير أخلاقي، تم فيه الاحتيال لنقل تفاصيل من حياتهم دون علمهم.. والأميش هم أحفاد جماعة عانت الظلم والاضطهاد في القرون الوسطى وذلك جنوب ألمانيا وسويسرا لذلك ظلت منغلقة على العالم تستعصي على الحضارة.

(4)

غزاة العوالم الأخرى وحرب النجوم

ولعل أطرف ما أعلنه بعض علماء الولايات المتحدة مؤخرًا، التقرير الذي ذكروا فيه أنهم توصلوا إلى دلائل ثابتةكما ادعواعلى نظرية تقول: إن أجناسًا بشرية تتعرض للإبادة الكاملة من قبل قوى مجهولة تستوطن الكون، وذكر هؤلاء أن هذه الظاهرة الغريبة تحدث كل (25) مليون سنة، وأنها تكررت خلال (250) مليون سنة الماضية .

وأكد علماء من جامعة شيكاغو أن تلك القوى الغريبة المجهولة تقوم بزيارة الأرض بشكل دوري حيث تقتل في كل زيارة أكثر من نصف سكان الكرة الأرضية..

وأشاروا إلى أن الغزو الجديد وحرب الإبادة الكاملة سيحدث بعد نحو (15) مليون سنة من قبل هؤلاء الغزاة.. وقد نشروا هذه النتائج بعد أن درسوا (9350) شكلًا من أشكال الحياة القديمة، جاء ذلك في مقال مشترك نشروه في مجلة (العلوم) التي تصدر في شيكاغو.. .

هذه النظرية الخرافية التي نسفت جميع نظريات التطور ونمو الحضارات في كوكب الأرض لم توضح أن حرب النجوم التي أعلن

عنها في أمريكا يمكن أن تقضي نهائيًا على الجنس البشري فيما لو حدثت وليس على نصفه كما يتوقعون من غزاة العوالم الأخرى..

(5)

منذ مئات السنين والمطر لم ينقطع في «بازانا»

ربما تكون منطقة بازانا وهي تقع قرب الحدود البرازيلية حيث يتفرع النهر إلى (21) مرعًامن أكثر المناطق غموضًا في العالم إذ إن تلك المنطقة من (باراغوي) تظل ماطرة طوال العام، يهطل فيها المطر مرارًا دون توقف، صيفًا وشتاء.. ومعلوم أن قسمًا كبيرًا من أراضي أمريكا الجنوبية لا تزال مجهولة وخاصة حوض الأمازون وجبال الأنديز ومنطقة تفرع نهر بازانا..

وقد صيغت القصص والحكايات والخرافات حول تلك المنطقة، وقيل إنها مسكونة بقرى مجهولة تحرم الاقتراب منها وتصيب المغامر بالمرض والموت والمصير الغامض..

لا يعلم أحد متى بدأ المطر بالهطول ولا متى سينقطع إذ إنه مستمر في هطوله في المنطقة منذ مئات السنين.. ورغم كل الحكايات والخرافات التي قيلت عن المنطقة وعن الناس الذين يعيشون قربها، والذين لا يتجاوز تعدادهم المئات، يسكنون قرى صغيرة ويلبسون

باستمرار الثياب الواقية من المطر.. وقد اتجهت إليها لجنة علمية من علماء الطبيعة، لمعرفة سبب هطول المطر الغزير والمستمر هناك.. وتوصلت إلى أنه نتيجة لرذاذ شلالات (جوايرا) التي تعد أيضًا من أعظم شلالات العالم، تحمل الريح الرذاذ المستمر في هباتها الثابته لتكون سحابة ثلجية فوق حافة التلال، ثم تقذفها بعيدًا فوق المنطقة لتتكاثف، وتسقط على الأرض، بشكل مطر، وتكرار العملية المستمر يجعل هطول الأمطار مستمرًا بغزارة شديدة..

(6)

حالات غريبة من تشوه التوائم

لاحظ الأسباني (فريديريكو الينا) أن ابنته البالغة من العمر ثلاثة عشر عامًا منتفخة البطن بشكل غير مألوف، فطاش صوابه وانقض على خناقها يحاول منها أن يعرف من الفاعل الذي لوث شرفها؟ ولكنها أنكرت أن تكون على علاقة مع أحد، كان الرجل ريفيًا متعصبًا فأعطاها مهلة لتبوح باسم الفاعل وإلا قتلها، ولكن الفتاة لم تغير موقفها وظلت تبكي بكاءً مرًا، وبصعوبة بالغة تمكنت الأم من السيطرة عليه، وعندما فحصت ابنتها وجدت أن الانتفاخ يختلف تمامًا عن بطن الحامل، فأقنعته أن يأخذها إلى المدينة القريبة ليفحصها الطبيب..

ورأى الطبيب حالة نادرة، فالانتفاخ الذي سبب مأساة الفتاة لم يكن سوى (توأمها) الذي عاش في داخلها بعد ما كبر جسدها على حساب جسده، وبعد بلوغها الثالثة عشرة أثرت هذه الكتلة العظمية في النسج المحيطة بها فسببت ذلك الانتفاخ..

لو قدر لبويضة أن تلقح بواسطة حيوانين منويين لتكون جنينين في الرحم، ونظرًا لضيق المكان فقد ينمو أحدهما على حساب الآخر فيميته أو يقاسمه الغذاء حتى يخرجا من الرحم حين يشكلان توأمًا مسخًا برأسين أو بثلاثة أرجل أو توأمين ملتصقين بالردف كالأختين روزا وجوزيفا وحالات الشذوذ في الخلقة والتكوين تحدث في أي مكان من العالم وتتسبب الصدفة بحدوثها، وبعضها غريب ونادر وهي منذ أقدم العصور تسبب خوفًا ورعبًا لاعتقاد الناس بعلاقتها بالشيطان أو بالأرواح الشريرة..

فقد ولدت السيدة الهندية (سومن مهابير) طفلًا بذنب صغير بطول ستة سنتمترات، وأخبرها الطبيب أن هذه الظاهرة لا تشكل خطرًا على الوليد فبالإمكان استئصال ذيل الطفل بعد أسابيع، حين يصبح قادرًا على تحمل جراحة دقيقة، حدث هذا في إحدى مستشفيات كلكوتا في أيار 1987 ونادرًا ماتحدث مثل هذه الولادات عندنا ولم نسمع حتى الآن عن ولادة بذيل في وطننا العربي..

وفي تايوانأناس صغار الجثة مفلطحو الوجوه، لهم أذناب صغيرة ويزيد عددهم عن المليون ولنسائهن شهر في وجوههن كالرجال،

وفي جزائر ماريانا فبائل متوحشة تقتات بأصول النباتات والأعشاب.. ولأفرادها ذيول ليفية خالية من الفقرات، ولعل أطول ذيل سجل في التاريخ العلمي كان لطفل ولد عام 1849 في ألمانيا بطول عشرة سنتيمترات.. كان يهتز إذا بكى الطفل أو صرخ أو غضب.. وقد ازداد نموه مع نمو الطفل وحين أصبح في العاشرة من عمره لم تنجح العملية الجراحية التي حاول بها الأطباء استئصال ذيل فمات..

وعلى مر العصور سببت هذه الحوادث التي تحدث بالصدفة العارضةرعب الناس وخوفهم من المجهول، وجعلت بعضهم يقدم على قتل تلك الأمساخ الرديئة اعتقادًا منه أنه يتخلص من الشيطان وشره المستطير..

(7)

ليست وحوشًا بل أسماكًا ثديية منقرضة

ارتعب الصيادون وهم يعاينون ذلك الوحش البحري الهائل يقفز فوق سطح المياه ثم يختفي في الأعماق دون أن تنجح أدوات صيدهم في تقييد حركته..

وانتشر الخبر في المنطقة البحرية التابعة لمدينة (مدراس) الهندية، وربط الناس ظهور الوحش البحري باختفاء قوارب الصيد في تلك

المنطقة، وانتشرت الأشاعات حول تكرار ظهور الوحوش البحرية قرب شواطئ مدراس حتى نجح ثلاثة صيادين في صيد أحدها، باستخدام الخطافات القوية، بدا الوحش على هيئة سمكة ضخمة غريبة الشكل بفم واسع وزعانف مسننة وحراشف سميكة.. وحين عاينه متحف العلوم البحرية في مدراس، اكتشف أن ذلك الوحش، ليس بالفعل سوى سمكة ثدية كان يعتقد أن نوعها اختفى قبل نحو (60) مليون عام..

وقد انتشرت فرق البحث في تلك المنطقة من المحيط الهندي للبحث عن أنواع أخرى من الأحياء ربما ستفيد في معرفة تاريخ الحياة في البحر..

ومن المعروف أن العلماء لم يكتشفوا سوى (2 ٪) من حيوانات الأعماق في المحيطات فالمحيط الهادي عمقه في بعض المناطق أكثر من (12) كيلو مترًا ولا يمكن الوصول إلى قاعه على الإطلاق من قبل الغواصين، كان يعتقد أن تلك الأعماق لا تحوي أي نوع من الحياة..

ولكن هذا الاعتقاد ثبت بطلانه بعد أن تمكنت بعض الغواصات التي صممت للأعماق السحيقة من العثور على أنواع من الحياة البحرية في أعماق تزيد عن عشرة كيلو مترات لم يكن الإنسان يتصور وجود أنواعها..

(8)

أعياد الكوبرا في الهند

في أوائل أيار من كل عام يحتفل سكان قرية (ياتيس شيريلا) أو المزرعة (32) في ولاية (مهارا سترا) الهندية بعيد (الكوبرا) وهو احتفال يستمر ثلاثة أيام يجتمع خلاله الأهالي ويستعرضون براعتهم في متابعة أفاعي الكوبرا السامة وتلوينها بالألوان الأحمر والأخضر والأصفر.. والأفاعي بشكل عام مقدسة في الديانة الهندوسية والكوبرا أكثرها قداسة.. وتحيط بعنق الإله شيفا (المدمر في الثالوث الهندوسي) أفعى من نوع الكوبرا مجنحة الرأس.. وكثيرًا ما تسبب الأفاعي في الهند مآسي في القرى والمناطق الفقيرة حيث تلدغ الأطفال والمواشي. ورغم ذلك فمن المستحيل أن يجرؤ أحدهم على قتل أفعى فقتلها حرام يعاقب عليه الإله.. وإذا قتلت أفعى بخطأ ما فإن قرينها إن كانت أنثى يسعى نحو القاتل وينتقم منه.. وإن كان ذكرًا فإن الأنثى تسعى للانتقام من عائلة القاتل صغيرها وكبيرها..

هكذا يعتقد البسطاء هناك.. وقد انتشرت هذه الأسطورة بين الناس يتناقلونها حتى أن إحدى شركات الإنتاج السينمائي في (بومباي) أنتجت فيلمًا عن هذه الأسطورة اسمه (ناجين) كلف أموالًا طائلة..

وهي تقدس في بعض المناطق حتى العبادة حيث بنيت لها حجور خاصة ويقدم لها فيها القرابين والحيوانات الصغيرة.. وإن عن لها الخروج للتريض لدغت طفلًا أو امرأة أو شيخًا فإن الإله ساقها على الضحية لأنها أداة إله الانتقام..

(9)

الحيتان وظاهرة الانتحار الجماعي

حتى الآن ما زالت قضية الانتحار الجماعي لنحو (60) حوتًا على الساحل الغربي للكاب في أفريقيا الجنوبية، تثير الدهشة لدى العلماء الذين عجزوا مع خبراء العلوم البحرية عن معرفة سبب إقدام الحيتان على الانتحار.. وقد اكتشف البحارة في البداية نحو (40) حوتًا وصل طول بعضها إلى سبعة أمتار منتشرة على مساحة من شاطئ الكاب بلغت (100) متر مربع.. وعلى بعد ثلاثة كيلومترات عثروا على نصف هذا العدد فوق مساحة أخرى من الشاطئ الرملي وكان من بين الحيتان المنتحرة ذكور وإناث وعجول بحر..

وأخذ الناس يتوافدون إلى المنطقة لرؤية المنظر الغريب، وقال شهود عيان إن حيتانًا أخرى شوهدت في المنطقة وهي هائجة تتحرك بعصبية حركات مضطربة.. ولم يتمكن العلماء بعد طول بحث ودراسة

من معرفة سبب وفاة تلك الأعداد الكبيرة من الحيتان وأحياء البحر الضخمة ففي عام (1920) شوهدت جثث كثيرة لحيتان منتحرة على الشاطئ وفي عام 1939 وعام 1958 وعام 1986.. وبين توتر تلك التواريخ المنتظمة نلحظ أن (18) و(19) عامًا تفصل بعضها عن بعض وقد يعني ذلك شيئًا للباحثين والدارسين ولكن ما هو؟

لا أحد يعرف بالضبط..

(10)

«زيت السحالي» سم قاتل: لكنه يفيد في علاج الأمراض

اكتشف العلماء أن السائل المعروف بزيت السحالي هو من أقوى أنواع السموم المعروفة فإن قطرة منه إذا وضعت في محلول ممدد قد يكفي لقتل عشرة أشخاص.. وهذا المحلول كثير السمية يستخلص بعد قتل السحلية واستئصال معدتها، التي تشوى وتسخن، فتتحول إلى مصدر كبير للسم إذا وضع في سائل ساخن..

والمحلول أخضر اللون وحين يضاف للماء يصبح بلون حليبي كلون سائل جوز الهند وتعيش أنواع السحاليالتي يستخلص منها السم- في المناطق الاستوائية وفي سيلان على الأخص.. وقد اكتشف العلماء أن زيت السحالي يمكن أن يضاف إلى مركبات كيميائية أخرى لتصبح

دواء لعلاج أمراض الكبد والكلية والتهابات الجلد واللثة وإيقاف النمو السرطاني في الحنجرة..

وتعرف السحالي عند القبائل البدائية ب (أرواح الجحيم) فالبرد يجمد حركتها والحرارة تنشطها وهي تنفث السم في الطعام.. وتأكل الحشرات الصغيرة كالبعوض والذباب وقوة سمها ترجع إلى قوى الشر المرتبطة بها في الجحيم حيث تنفث كراهيتها للناس فتقتلهم.. وتقضي على البراءة والخير.. هكذا يعتقد أفراد القبائل البدائية الذين يعيشون في المناطق الاستوائية في أفريقيا وشرق آسيا وهم يتجنبون السحالي ولا يؤذونها خوفًا من شرها، بقي أن نعلم أن من بين كيفية تصنيع سم السحالي هو عجوز (سيرلانكي) يعمل في أحد المعابد البوذية في (كولومبو).. وقد مات متأثرًا بزيت السحالي في أواخر عام 1985 بعد ما بين أهميته لأحد أفراد بعثة طبية تابعة للأمم المتحدة زارت (سيرلانكا) في ذلك الحين..

***